التثقيف الذاتي واثره في تدريس العلوم الشرعية

م.م. هناء عبدالجبار عطية

Education and its impact on the teaching of forensic science

Asst; Instructor. Hana Abdul Jabar Atiyah

Self education in education at all stages and shows a clear impact on university education and the provision of books and sources at modest prices have a significant impact on education and teaching staff and students attended a saturation of culture and science, particularly legitimate.

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف المرسلين، سيدنا محمد النبي الأمي الأمين، وعلى آله الطيبين الطاهرين، وأصحابه الغرّ الميامين، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

وبعد:

فإن عالمنا اليوم يتصف بالانفجار المعرفي السريع في تتابعه وتغيره، وإن التعليم الرسمي بمناهجه الثابتة وبما يرفد به الطلاب من معلومات متباعدة عاجز عن ملاحقة الكم المعرفي العام، وحتى المعارف ذات التخصص المشترك، وإن المعادل الموضوعي لهذا كله هو العناية بالتثقيف الذاتي والتشجيع عليه وتنميته .

والطالب الجامعي أولى من غيره بالعناية بالتثقيف الذاتي، وأن لا يقتصر على المفردات المقررة في المنهاج الدراسي، وأن هذه العناية ينبغي أن تتواصل بعد تخرجه لما للتثقيف الذاتي من فوائد جمة .

وإن مهمة تدريس العلوم الشرعية تلقي بمسؤولية جسيمة على عاتق التدريسيين والطلبة معاً ، وأن الغرض الرئيس من دراسة العلوم الشرعية في جميع المراحل العمرية لطالب العلم هو محبة العلم والاجتهاد في تحصيله، والعمل بمقتضاه، والحرص على تعليمه وتحقيق أثره، سواء أكان المدرس للعلوم الشرعية معلماً في المراحل الابتدائية، أم أستاذاً في المراحل الثانوية، أم أستاذاً باحثاً في الجامعة؛ لإن المسؤولية هي واحدة، فلذلك لا بدّ من البحث عن الوسائل التي تعزز هذه الأهداف .

ولهذا السبب ارتأيت أن يكون موضوع هذا البحث هو: **(التثقيف الذاتي وأثره في تدريس العلوم الشرعية)**، ويهدف هذا البحث إلى التعريف بوسيلة يقترحها الباحث لتعزيز الانتفاع من العلوم الشرعية لدى الطلبة، وهي ترسيخ مفهوم التثقيف الذاتي بين الطلبة، وإشاعته، وتكريس الوسائل العلمية للانتفاع منه بما يعزز دراسة

العلوم الشرعية من جهة، ورفع المستوى الثقافي للطالب بما يؤهله للتفاعل الإيجابي مع المادة العلمية من جهة أخرى .

ويقدم البحث طرائق عملية للتثقيف الذاتي تصب جميعها لخدمة الغرض من الدراسة، وتعزز الطريقة النظرية التي يقدم بها الأستاذ دروسه في العلوم الشرعية، وتحقق الرغبة الأكيدة في تطبيق ما يتلقاه التلاميذ والطلبة نظرياً على واقعهم وتطبيقها لمعالجة قضايا المجتمع ونوازله ووقائعه .

ولاسيما إن المتأمل في واقع العملية التربوية على العموم، وفيما يتعلق بتدريس العلوم الشرعية على وجه الخصوص يلاحظ طغيان الاعتماد على المنهج النظري، في مقابل ضمور واضح في جانب ربط المعلومات والمعارف بالواقع المشاهد، من جهة، والاقتصار على ما تحصل من معلومات أساسية أثناء الدراسة الجامعية، الأمر الذي ولد مظاهر سلبية انعكست على عطاءات المتخرجين، وعجزه عن تطوير قدراته بعد التخرج ولاسيما مع تصاعد أعباء الحياة والمسؤوليات الاجتماعية والوظيفية، فإن مرحلة الدراسة هي المرحلة الذهبية لأي شخص من أجل الارتقاء بتحصيل العلوم الشرعية .

ويرتبط هذا البحث بالمحور الثالث من محاور المؤتمر (تدريس العلوم الشرعية في الجامعات العراقية)، إذ يحاول هذا البحث الارتقاء بالتدريس عبر التفاعل الإيجابي بين الطلبة وبين المادة العلمية، للوصول إلى أفضل الإمكانيات الذاتية التي تتوافق مع ممارسة تخصصه في الحياة العامة .

وهذا البحث يعتمد على تجربتي الشخصية مع محصلة تجارب الآخرين، ويشتمل البحث على مقدمة وثلاثة مباحث وخاتمة تتضمن النتائج والتوصيات:

المبحث الأول: تعريف التثقيف الذاتي وأهدافه وأهميته .

المبحث الثاني: منهج عملي مقترح للتثقيف الذاتي .

المبحث الثالث: المشاكل المتوقعة والمعالجات المقترحة.

الخاتمة: وفيها النتائج والتوصيات .

أرجو أن يكون هذا البحث نافعاً للقراء، وأن القصد منه ليس الإحاطة بتفاصيل الموضوع، وإنما شد الأنظار إليه للعمل به . والله ولي التوفيق .

المبحث الأول

تعريف التثقيف الذاتي وأهدافه وأهميته

أولا . تعريف التثقيف الذاتي:

يقول ابن منظور: "ثَقِفَ الشيءَ ثَقْفاً وثِقافاً وثُقُوفةً: حَذَقَه. ورَجُلٌ ثَقْفٌ وثَقِفٌ وثَقِفٌ وثَقُفٌ: حاذِقٌ فَهِم ... رَجُلٌ ثَقْفٌ لَقْفٌ إِذا كانَ ضابِطاً لِما يَحْوِيه قائِماً بِه . ويُقالُ: ثَقِفَ الشيءَ وهُو سُرعةُ التَّعَلُّم ... ثَقِفْتُ الشيءَ حَذَقْتُه ..وثَقُفَ الرجلُ ثَقافةً ، أَيْ: صارَ حاذِقاً خَفِيفاً ... وثَقِفَ أَيضاً ثَقَفاً مِثْلَ تَعِبَ تَعَباً ، أَي: صارَ حاذِقاً فَطِناً فَهُو ثَقِفٌ وثَقُوفٌ مِثْلُ حَذِرٍ وحَذُرٍ ونَسٍ ونُسٍ "(١) .

والتثقيف مفرد مصدر ثقَّفَ، وأصل التثقيف هو إصلاح السهم الرمح، " يقال للذي يُصلح السهام والرماح: مُثَقِّفٌ "(٢) .

والتثقيف الذاتي: هو " اعتماد المرء على نفسه في اكتساب ثقافته خلاف من يتثقّف على أساتذة أو في مدرسة "(٣) .

وهو " الرغبة الطوعية في النهل من معين العلم والمعرفة "(٤) .

والتثقيف الذاتي على نوعين:

النوع الأول ــ يمتاز بعدم المنهجية، أي: القراءة العشوائية أو الشاملة أو المنوعة، وهذا الأسلوب ينطوي على هدر في الطاقات الشخصية.

---

(١) لسان العرب، لأبي الفضل جمال الدين محمد بن مكرم بن منظور الأفريقي المصري، (ت٧١١هـ)، دار صادر، بيروت، لبنان، ط١، ١٩٦٨م: مادة (ثقف) ١٩/٩ .

(٢) الزاهر في معاني كلمات الناس، لأبي بكر محمد بن القاسم الأنباري، (ت ٣٢٨ هـ)، تحقيق: د . حاتم صالح الضامن، الدار الوطنية، بغداد . ١٩٧٩م: ٩٨/٢ .

(٣) معجم اللغة العربية المعاصرة، د أحمد مختار عبد الحميد عمر، (ت١٤٢٤هـ)، عالم الكتب، بيروت، ط١، ١٤٢٩هـ . ٢٠٠٨م: ٣١٨/١ .

(٤) المنهجية العلمية في التثقيف الذاتي، للدكتور عبد القادر الشيخلي، دار الحرية للطباعة، بغداد، ١٩٨٥: ٧ .

النوع الثاني ـ القراءة المنهجية، وهي القراءة التي فيها اختزال الوقت والجهد والمال، كما يساعد على تكوين مجموعة من المثقفين ثقافة موسوعية أو ثقافة متخصصة على جانب كبير من الإحاطة بحقائق العصر[١] .

ثانياً . مقومات التثقيف الذاتي:

يمكن إجمال مقومات التثقيف الذاتي ـ استناداً إلى الخبرة الشخصية الذاتية . بما يأتي:

١. إن التثقيف الذاتي يهدف إلىأن يكون للطالب برنامجاً يومياً للقراءة والمطالعة والكتابة ، وأن تكون له القدرة على الربط بين المطالعة والكتابة وبين الحاجات العلمية التي تعرض له، كزيادة إيضاح مسألة علمية، أو للتوسع فيها، أو لمعرفة الأقوال الأخرى، وغير ذلك من أغراض تغني المادة العلمية موضوعة الدراسة .

٢. يهدف التثقيف الذاتي إلى الانتفاع من الوسائل التقنية الحديثة التي أخذت حيزاً كبيراً من عناية الطلاب واهتماماتهم، وتسخيرها لخدمة عملية التثقيف الذاتي .

٣. تهدف علمية التثقيف الذاتي إلى إشاعة القراءة في مختلف المجالات الفكرية، وليس فقط في مجال التخصص، وأن تسهم القراءة في إعادة صياغة مفردات حياتنا نحو الأفضل في كل مرحلة عمرية واجتماعية من حياتنا .

٤. إن أحد أهداف عملية التثقيف الذاتي هي خلق مجتمع مثقف واعٍ يكون في نشاط ذهني مستمر ليستطيع حل المشكلات الطارئة من دون وثوب أشخاص يهيمنون على مقدراته الفكرية ويزعمون القدرة على ترقية الآخرين بإنكار حقوقهم الفكرية .

٥. إن الجمهور الجاهل هو أعظم الوسائل لتفويت فرص التقدم ويشجع على

---

(١) المنهجية العلمية: ١٢ . ١٧ .

الاستبداد السياسي والفكري والديني لسرعة انقياده وسهولة خداعه بالألفاظ البراقة والادعاءات المزوقة والخطب الرنانة، ومن هنا تأتي قيمة الكتاب والجريدة والمجلة على الخصوص والثقافة على العموم في الحد من هذه المظاهر المرضية المقيتة في المجتمع.

ثالثاً . أهمية التثقيف الذاتي:

لا تنحصر أهمية التثقيف الذاتي بالجانب الثقافي فحسب، بل هي تمتد إلى الجوانب الحياتية كافة، ومن هذه الفوائد:

١. إن التثقيف الذاتي ضروري لكل إنسان يروم النجاح والتطور والتقدم ؛ لأن عملية التثقيف الذاتي تعني الاستمرار في تحصيل العلم ، والاستزادة من المعرفة وتنمية القدرات العقلية.
٢. إننا نلحظ عزوف الشباب ومنهم الطلبة عن القراءة، جراء كثرة المشاغل من جهة، والانشغال بوسائل التقنية الحديثة مثل الانترنت، والفضائيات على حساب المطالعة والكتابة التي صرنا نخشى من انقراضها، فحتى الخواطر والأفكار صارت تكتب في أجهزة المحمول، وصار اقتناء الكتب لأغراض جمالية أكثر منها علمية .
٣. إن عدم الرغبة في القراءة نابعة من عدم التعود على القراءة منذ الصغر ، وكراهية قراءة الكتب ، وضيق الوقت، وربما ارتبطت قراءة الكتاب بفكرة التحضير المدرسي والاختبارات، مما يزيد من حجم المشكلة .
٤. بينت الدراسات الحديثة أن التلفيزيون يحظى بنصيب كبير ، وان مشاهديه يزيد عددهم على أربعة أضعاف قراء الكتب ، وأن معدل المشاهدة للتليفزيون لأغلبية الشباب تتراوح ما بين ساعتين ثلاث ساعات يومياً ، وقد أظهرت نتائج المسح في العراق عام ٢٠٠٧م أن

مشاهدة التلفزيون تشكل الهواية الرئيسة بنسبة (٦٤.٢%) تليها الرياضة بنسبة (٣٥.٧%) ثم المطالعة[١] .

٥. مما لاشك فيه أن عدم القراءة والمطالعة له أثره السلبي في تكوين الإنسان العلمي والثقافي والمعرفي، فهو يؤدي إلى ضحالة المستوى العلمي، وضعف الثقافة العامة، وتقلص العقلية العلمية ، وتناقص المخزون العلمي، وقصور الأداء الوظيفي ، والجمود وعدم القدرة على الانطلاق في رحاب العلم والمعرفة وانعدام القدرة على التطوير والإبداع والابتكار، ولذلك كله ، يجب الحرص أشد الحرص على عملية التثقيف الذاتي لتجاوز تلك الآثار السلبية على مستقبل الشباب العلمي والعملي .

٦. من ناحية أخرى فعلمية التثقيف الذاتي تهدف إلى سد الفراغ المعرفي لدى الإنسان، وإن المدرسة والجامعة لا يوفران إلا النزر اليسير من المعارف .

٧. إن الثقافة في المدارس والجامعات هي ثقافة أسلوبية تسير على قواعد محددة، من الصعب أن تشجع على الابتكار والإبداع بسبب ضيق الوقت المخصص للمنهج الدراسي، وأن التثقيف الذاتي من شأنه منح الطالب حرية أكثر في تفكيره .

٨. إن حفظ النصوص واستظهار الموضوعات المدرسية تمنع الطالب من التوسع في الموضوع الذي يدرس أو يستطرد منه إلى دراسات أخرى، في حين أن التثقيف الذاتي يسمح للقارئ بالاستمتاع بما يقرأ ويفتح أمام ذهنه الآفاق الفكرية .

---

(١) مؤشرات إحصائية حول وضع الطفولة في العراق، د. مهدي حسن العلاق، هدى هداوي محمد، دراسة مقدمة إلى المؤتمر السنوي لهيئة رعاية الطفولة في العراق، ٢٠٠٧: ٨ .

٩. من المعلوم أن المناهج الدراسية أو الجامعية تعد لعدد كبير من الطلبة، فالمدرسة مثلاً تعامل جميع التلاميذ كما لو كانوا على قامات متساوية يحتاجون إلى قطع لا تختلف من القماش كي تصنع لكل منهم بذلة خاصة له، ولما كان كل إنسان فذاً في الدنيا فهو محتاج لمعارف تتفق وكفايته وحاجاته الخاصة، فالبرنامج التعليمي الذي يوضع لمليون صبي لا يمكن أن يؤدي حاجات كل صبي وشاب إلا إذا تجاهلنا الخصائص والمميزات التي يتمتع بها كل فرد كحالة منفردة[١].

١٠. إن التثقيف الذاتي يوسع مدارك الطالب اللغوية والثقافية والمعرفية ويسمح لذهنه بالتأمل والتفكر مما يسهم في إطلاق العنان لقدراته المكبوتة، فالمثقف يكون منظم الذهن عميق التفكير واسع الأفق على وعي بما يدور حوله من أحداث وقضايا، كما يكون في الغالب قادراً على التعبير عن آرائه بأسلوب واضح لا التواء فيه ولا تعقيد. أما غير المثقف فإنه يكون ضحل الأفكار ضيق الأفق ومهلهل الأسلوب غالباً .

١١. إن التثقيف الذاتي الذي هو عامل مهم في بلورة الثقافة يرتبط بعملية إعداد الإنسان في المجتمع، والمجتمعات حريصة على أن يكون أفرادها من المثقفين وحريصة على أن تحارب الجهل، من هنا قال الفيلسوف الصيني (كيواه – نزو) الذي عاش في القرن الثالث عشر قبل الميلاد: " إذا وضعتم مشروعات سنوية فازرعوا الحنطة وإذا كانت مشروعاتكم لعقد من الزمن فاغرسوا الأشجار، أما إذا كانت مشروعاتكم للحياة بكاملها، فما عليكم إلا إن تثقفوا وتنشؤا الإنسان"[٢] .

المبحث الثاني

---

(١) التثقيف الذاتي أو كيف نربي أنفسنا، سلامة موسى، مكتبة المعارف، مصر، ١٩٤٨م: ٨ .

(٢) المنهجية العلمية: ٤ .

منهج عملي مقترح للتثقيف الذاتي

في هذا المبحث سأتناول الوسائل العملية التطبيقية لمنهج مقترح للتثقيف الذاتي يمكن تطبيقه في المدارس والكليات، مع ملاحظة الفارق بين قدرات الطلاب العلمية في المراحل الدراسية المختلفة، وإن لطالب الكلية القدرة على تطبيق هذا المنهج أكثر من غيره .

أولا . مصادر التثقيف:

في الحقيقة لليس هناك مصدر محدد لعملية التثقيف الذاتي، إذ يمكن أن تكون الكلمة المسموعة، أو الصورة المرئية، أو الفلم التلفزيوني أحد مصادر التثقيف، أو المحاضرات العامة والندوات والأمسيات الشعرية التي تنظمها الأندية الأدبية إلى جانب البرامج الثقافية الأخرى، وعلى العموم فإن مصادر التثقيف المهمة هي تلك التي يمكن للشخص أن يرجع إليها متى شاء، وأن يتدبر في قراءتها، وهي المتمثلة بالمنشورات الورقية، ومن هذا المنطلق فالمصادر الرئيسة هي الجريدة والمجلة والكتاب، وفيما يأتي تعريف بها وبأثرها في عملية التثقيف الذاتي:

أولا . الجريدة أو الصحيفة:

إنالجريدة أقل هذه الأنواع عمقاً ثقافياً وبعداً فكرياً ، إلا أنها قد تكون أكثر خطورة وتأثيراً من سواها لقوة الإيحاء الذي تحدثه بالتكرار؛ لأنها يومية الصدور وموجهة لجميع الطبقات ومكتوبة بلغة ميسرة بسيطة وزهيدة الثمن وسهولة الحصول عليها، فعلى القارئ أن يختار أكثر الصحف عناية بالثقافة النامية والأخبار المهمة البعيدة عن الدعايات المضللة والإعلانات الفارغة، ومن المفيد استعمال ملف لقص الموضوعات القيمة والأخبار المميزة وإيداع هذه القصاصات في ملف معد لذلك.

ثانياً . المجلة:

إن المجلة بسبب كبر حجمها واتساع مدة إعدادها الأسبوعي أو الشهري أو الفصلي تكون أكثر مادةوعطاء فكرياً من الجريدة، فهي من الروافد الثقافية المهمة التي لا يستغني عنها ناشد المعرفة، وهناك مجلات متنوعة عامة ومجلات متخصصة ودوريات محكمة يستطيع القارئ أن يطلع على ما يروي ظمأه من أمهات هذه المجلات ذات المستوى الثقافي الرصين .

ثالثاً . الكتاب:

الكتاب هو القطب الذي تدور عليه الثقافة، فلا غرابة أن يقول الجاحظ في وصفه: " ونعم الجليس والعدّة، ونعم النشرة والنزهة، ونعم المشتغل والحرفة، ونعم الأنيس لساعة الوحدة، ونعم المعرفة ببلاد الغربة ونعم القرين والدخيل، ونعم الوزير والنزيل. والكتاب وعاء ملئ علماً، وظرف حشي ظرفاً، وإناء شحن مزاحاً وجدّا؛ إن شئت كان أبين من سحبان وائل، وإن شئت كان أعيا من باقل، وإن شئت ضحكت من نوادره، وإن شئت عجبت من غرائب فرائده، وإن شئت ألهتك طرائفه، وإن شئت أشجتك مواعظه. ومن لك بواعظ مله، وبزاجر مغر، وبناسك فاتك، وبناطق أخرس، وببارد حارّ "[1] .

ثانياً . الخطوط العامة:

إن الخطوط العامة لهذا المنهج المقترح تتمثل بما يأتي:

١. إن المدرس أو التربوي الناجح هو الذي لا يتوقف عند حد إيصال المعارف إلى أذهان طلابه وتلاميذه، بل يضع لهم الخطط للدراسة، ليعتمدوا على أنفسهم، ويكونوا قادرين على معرفة كيفية الحصول على المعلومات المطلوبة من مظانها، وكيفية التعامل مع هذه المصادر، وكيفية التمييز بين الغث والسمين، وكيفية قراءة النص قراءة نقدية فاحصة، وأن لا يستسلم الطالب أو التلميذ للنص المقروء، بل يتعامل

---

(١) الحيوان، لأبي عثمان عمرو بن بحر الشهير الجاحظ (ت٢٥٥ هـ)، تحقيق: محمد باسل عيون السود، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤٢٤هـ: ١/٣١ . ٣٢ .

معه بروح نقدية، وأن يناقش الكاتب أو المؤلف، وأن يستعلم عن النصوص التي تثير لبساً أو إشكالاً .

٢. إن الشخص من أجل أن يحقق التثقيف الذاتي بحاجة إلى جعل القراءة عادة من عاداته اليومية التي لا ينفك عنها .

٣. تكوين مكتبة شخصية في المنزل، فنادراً ما يخلو بيت من مجموعة كتب، وتضم هذه المكتبة الكتب المهمة وذات العلاقة بالتخصص ، وكذلك كتباً في حقول العلم والمعارف الأخرى، ولا بأس من ضم الكتب الجامعية أو حتى المدرسية لإمكان الانتفاع منها مستقبلاً .

٤. استغلال أوقات الفراغ للقراءة، مثل وسائط النقل، صالات الانتظار، فالوقت المستنفد فيها كبير جداً .

٥. أن يكون للقارئ برنامجاً يومياً للقراءة والمطالعة والكتابة يقدره الشخص على حسب ظروفه ووقته على أن لا يترك المطالعة اليومية .

٦. التواصل مع الحركة الثقافية والعلمية ، وزيارة المكتبات ، ومتابعة ما ينشر .

٧. مناقشة الآخرين في الكتب التي يقرأها وبهذا يرتبط المضمون بالذاكرة ارتباطاً قوياً ، ثم أن مثل هذه المناقشات من شأها أن تكشف عن وجهات النظر المختلفة، وتزيل اللبس أو الإشكال عن بعض ما قرأه، وكذلك فهي تغني الأفكار وتعمقها .

٨. أن تدوين الملاحظات عند قراءة الكتاب سواء في حواشي الكتاب أو في أوراق أو دفاتر منفصلة، ويحبذ جمع هذه الملاحظات في سجل خاص لإمكان الرجوع إليها عند الحاجة مستقبلاً . ويفضل بعد أن يلخص ما قراءه أن يكتب حكمه عليه وهل يستحق أن يقرأ أولا ؟ ويثبت الوجوه التي انتفع بها، والمآخذ إن وجدت، وكذلك النقاط المبهمة من أجل الوصول إليها لاحقاً بالسؤال أو بالنقاش .

٩. أن يحث الأساتذة الجامعيين الطلبة على التثقيف الذاتي، وأن يوجهوهم

للتوسع بالموضوعات الدراسية بذكر المصادر والمراجع الأخرى التي لها صلة بالدروس المنهجية .

١٠. يكلف الأساتذة طلبتهم بمطالعة بعض الكتب التي يرونها جديرة بالمطالعة، وتخصيص وقت لمناقشتهم في محتواها لضمان تواصلهم وتطبيقهم لعملية التثقيف .

١١. يوجه الأساتذة الطلبة نحو كيفية قراءة الكتب قراءة علمية بما لديهم من تجارب .

١٢. بعد شيوع الانترنت وتوجه كثير من الشباب إليه، يمكن حث الطلبة على الانتفاع منه من أجل تطوير قابلياتهم الثقافية والعلمية وأن يكون الانترنت أحد مصادر التثقيف أسوة بالكتاب، فالانترنت وما أضافه من اختزال الزمن والمسافات المعرفية وكثافة المادة المخزونة في أجهزة الكومبيوتر والانترنت، حتى صارت المعرفة بمتناول يد كل القراء والمثقفين .

١٣. ربط التثقيف الذاتي بالحاجة الواقعية للفرد أو للمجتمع، وهذا ما يعطي لعملية التثقيف دفعاً وزخماً ، بسبب الرغبة والحاجة، فالمراهق الذي يقرأ الكتب التي توضح له التغييرات الجسدية والنفسية التي تطرأ عليه سيقبل على هذه الكتب برغبة لحاجته الماسة إليها، والمثقف الذي يسمع بمصطلح الخصخصة مثلاً سيدفعه هذا إلى قراءة ما يتعلق به وسيكون لهذه القراءة أثرها النافع له ولغيره .

١٤. التمييز بين التثقيف العشوائي والمنهجي، فالتثقيف العشوائي يتيح اللياقة في الحديث، ويوحي للمتلقي العادي أن هذا المثقف على جانب كبير من الثقافة الموسوعية غير أن الضرر الناجم عن هذا النوع من الثقافة يدركه المثقف بعد فوات الأوان، وتمضي سني حياته فيدرك أخيراً أنه لم يبتدع نظرية معينة أو فلسفة متميزة أو نتاجاً ثقافياً مرموقاً يعبر عن روح العصر أو طموحات الأمة، أما الأسلوب المنهجي فهو

الـذي يهيـئ الفـرد فيـه كـل مسـتلزمات القـراءة المتخصصـة، فيختـار الموضـوع الـذي يحـاول تثقيـف نفسـه، ثـم يختـار المصـادر التـي تعينـه فـي بحثـه لتوصـله إلـى نتيجـة فكريـة وحصـيلة ثقافيـة لا يسـتهان بهـا، وكلمـا اسـتمر فـي بحوثـه وقراءاتـه المنهجيـة كلمـا أصـبحت أفكـاره أعمـق ونتـائج بحوثه أكثر دقة وأصالة [1] .

١٥. علـى القـارئ أن يميـز بـين الكتـب، وأن يضـع لكـل كتـاب طريقتـه فـي القـراءة، فـبعض الكتـب تحتـاج إلـى القـراءة العـابرة، وبعضـها يحتـاج إلـى الدراسـة المتأنيـة، وهـذا مـا يعـرف بـالقراءة النافعـة . فالكتـاب الواضـح السهل يحتاج إلى وقت وجهد أقل مما يحتاج إليه الكتاب الغامض .

١٦. إن القـراءة النافعـة هـي تلـك التـي تقـوم علـى التـدبر والفهـم والتعليـق والشـرح والتلخـيص والتقـويم، ولاسـيما مـع الكتـب المهمـة، فـرب قـراءة صـفحة منهـا علـى هـذا النحـو أجـدى مـن قـراءة عشـرات الصـفحات بـلا تفكـر أو تـدبر، ويقـرأ ويعلـق هنـا ويشـرح هنـاك علـى الهـوامش، وخيـر مـن هـذا أن يكتـب ملخصات في دفتر مستقل .

١٧. معرفـة الطريقـة الصـحيحة للقـراءة، فـبعض القـراء يبـدأ بقـراءة مـوجز الكتاب في الخاتمة، ثم يعود للتدقيق في المعطيات الأساسية .

١٨. أن يتـرك القـارئ الكتـاب جانبـاً عنـدما يجـد صـعوبة فـي فهمـه ليعـود إليـه فيما بعد .

١٩. يفضـل أن يجمـع القـارئ عـدة كتـب فـي الموضـوع الواحـد وينتقـل مـن كتـاب إلـى آخـر، فهـذا مـا يحقـق التوسـع فـي المعلومـات، ويفسـر المبهمات، ويمكن من إجراء مقارنة تغني النص .

المبحث الثالث

المشاكل المتوقعة والمعالجات المقترحة

---

(١) المنهجية العلمية: ١٢ . ١٦ .

تواجه عملية التثقيف الذاتي مشاكل كثيرة متنوعة، وفي ما يأتي أهمها مع المقترحات الكفيلة بتذليلها:

١ . عدم الرغبة في القراءة:

إن هذه المشكلة تكاد تكون عامة، ويمكن تذليلها بما يأتي:

أ . دور المدرس: أن يحث الطلبة على التثقيف الذاتي وأن يكلفهم بمطالعة الكتب المتوافرة في بيوتهم أو من أي مصدر قريب يوفر الكتب لسد ذريعة عدم توافرها، وأن يتابع الطلبة بتكليفهم بكتابة تقرير عن الكتاب، أو أية وسيلة أخرى، واستخدام الترغيب والترهيب في ذلك .

ب . دور الطالب: أن يلزم الطالب نفسه بالقراءة المستمرة، ثم أن كثرة المشاغل والواجبات لا تمنع من تخصيص وقت ولو قصير للمطالعة اليومية .

ج . عدم تقييد الشخص ولاسيما صغار السن ومن هم في سن المراهقة بكتب معينة، بل فسح المجال أمامهم لقراءة القصص وما يستهونه من كتب ومجلات شريطة أن لا تخل بالقيم العامة، فهذا من شأنه أن يخلق فيه حب المطالعة، ويعوده عليها، وسينفعه بتطوير لغته الأدبية وتصوراته الفكرية .

د . على المبتدئ أن يلزم نفسه بالقراءة بالتدرج إلى أن يتعود عليها، فيقرأ في البداية لمدة محددة في اليوم ثم يضاعف هذه المدة، وهكذا حتى تصبح القراءة عادة طيعة لديه .

هـ . أن يبدأ بأحب الكتب إليه وأقربها إلى نفسه، ويختار الأوقات المناسبة لذلك حين يكون صافي الذهن هادئ البال .

٢ . التأثر السلبي بالكتب:

ليست جميع الكتب تقدم ما ينفع الطالب، فبعض الكتب تحمل في صفحاتها سموماً منفوثة، وبعضها تشوه الحقائق، لذا لا يصح لمن لا يجد في نفسه القدرة على التمييز أن يختار الكتب التي يطالعها، بل عليه أن يستشير

ذوي الخبرة في اختيار الكتب التي سيقرأها . وأن تعويد الطالب على القراءة النقدية يسهم في تقليص حجم هذه المشكلة .

٣ . ارتفاع أسعار الكتب:

إن ارتفاع أسعار الكتب كان وما زال يمثل مشكلة عويصة أمام القراءة، ولكن هناك الكثير من الحلول البديلة التي يمكن بها توفير الكتب المطلوبة، في مقدمتها الانترنت، إذ يمكن الحصول على كم كبير من الكتب منه، وكذلك يمكن الانتفاع من مكتبات الكليات ومن المكتبات المدرسية، وكذلك عن طريق الاستعارة أو تبادل الكتب وغيرها من الوسائل .

٤ . ضيق الوقت:

لعل هذه المشكلة من أهم المشاكل التي تواجه الإنسان، فالطالب يعاني من ضيق الوقت بسبب كثرة الدروس التي عليه تحضيرها ودراستها، ولاسيما النصوص التي يطالب بحفظها، فهي تستهلك كثيراً من وقته وجهده الفكري ؛ ولكن هذا لا يمنع من استغلال أوقات الفراغ أو الأوقات المهدورة مثل أوقات الجلوس في وسائط النقل، أو أمام التلفاز للقراءة .

كما أن الطلبة يحضون بعطلة صيفية يمكنهم الانتفاع منها في القراءة، ولاسيما الموضوعات التي لم يسبق لهم أن درسوها أو قرأوها، مما يتيح لهم التنوع المعرفي والإلمام بمعارف وفنون مختلفة غير التي درسوها في المدارس أو الجامعات .

٥ . التخصص في المطالعة:

إن سعة العلوم وتشعبها وتوسعها جعل الإحاطة بأي علم من ضروب المستحيل، ولهذا انتشرت بعض الدعاوى القائلة أن المطالعة في غير التخصص لا فائدة من ورائها، لأن المعارف علوماً وفنوناً وآداباً لا يمكن أن يدرسها غير المتخصصين، وعلى هذا فليس على الطبيب أن يعرف التاريخ، وليس على الأديب أن يعرف الفلك وليس على المهندس أن يدرس الاجتماع، وهذه أفكار مشوهة مغلوطة، نعم إن المتخصص في مجال بعينه يجب أن

يعرف الكثير عنه أصولاً وفصولاً ؛ لكن هذا لا يمنع من الإلمام بشيء من المعارف الأخرى، فهذه المعارف وإن كانت بعيدة عن تخصصه ؛ ولكنها تسمح له بالتواصل الاجتماعي والمعرفي مع الآخرين، كما أن احتمال تحقيق الربط بين المعارف المختلفة أمر وارد، فالفقيه يمكن أن ينتفع من المعلومات الطبية في مجال تخصصه لكي تكون فتواه صحيحة لكي لا يفتي بما لا يعلم، والطبيب إن علم الحلال والحرام نفعه هذا في مهنته كثيراً .

٦ . الاقتصار على دور المدرسة:

يعتقد الكثيرون أن مهمة التثقيف هي من مسؤولية المدرسة أو الجامعة، وسبب هذا الخلط هو عدم معرفة الدور الحقيقي للمدرسة أو للجامعة، فالتعليم ودراسة مواد معينة شيء، والثقافي شيء آخر، ونقل سلامة موسى عن الأديب الإنجليزي (جرانت ألين) قوله: " يجب أن نمنع المدارس من التدخل في تربية أولادنا "، وهو بذلك يعني أن المدارس لا يمكنها تربية الأفراد، وحتى إذا حاولت في ذلك فإنها لن تنجح؛ إذ أن مكان التربية الحقيقي هو البيت أو الشارع أو المجتمع [١] .

الخاتمة

بعد هذا العرض الموجز للتثقيف الذاتي وأهميته في التعليم الجامعي اذكر النتائج والتوصيات التي توصلت إليها:

١. توجيه دعوة إلى دور النشر من أجل بيع الكتب بأسعار رخيصة، وذلك بطبع الطبعات الشعبية من الكتب المهمة، فأغلب القراء ليسوا بحاجة إلى كتب مجلدة ومذهبة التي هي السبب في ارتفاع سعر الكتب، بل هم بحاجة إلى كتاب يقدم لهم المعلومات المطلوبة.
٢. دعم الدولة للمكتبات المدرسية والجامعية ودعم وسائل الاتصال

---

(١) التثقيف الذاتي: ٢٢ .

الحديثة مثل الانترنت .

٣. توفير الدولة للكتب بأسعار زهيدة وإزالة العوائق أمام استيراد الكتب أو الرسوم الضريبية ونحو ذلك .

٤. تكليف الأساتذة الجامعيين بالعناية بالتثقيف الذاتي وإلزام الطلبة به ومتابعتهم عليه، وعدّ هذا من الأنشطة الجامعية التي يطالب بها الطلبة .

٥. طبع الرسائل الجامعية بطبعات شعبية لتيسير تداولها والانتفاع منها.

٦. توجيه معلمي المدارس الابتدائية والثانوية بالتركيز على التثقيف الذاتي وترغيب الطلبة فيه وتشجيعهم عليه .

والله من وراء القصد

المصادر والمراجع

١. التثقيف الذاتي أو كيف نربي أنفسنا، سلامة موسى، مكتبة المعارف، مصر، ١٩٤٨م .

٢. الحيوان، لأبي عثمان عمرو بن بحر الشهير الجاحظ (ت٢٥٥هـ) تحقيق: محمد باسل عيون السود، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤٢٤هـ .

٣. الزاهر في معاني كلمات الناس، لأبي بكر محمد بن القاسم الأنباري، (ت ٣٢٨ هـ)، تحقيق: د . حاتم صالح الضامن، الدار الوطنية، بغداد . ١٩٧٩م .
٤. لسان العرب، لأبي الفضل جمال الدين محمد بن مكرم بن منظور الأفريقي المصري، (ت٧١١هـ)، دار صادر، بيروت، لبنان، ط١، ١٩٦٨م .
٥. مؤشرات إحصائية حول وضع الطفولة في العراق، د. مهدي حسن العلاق، هدى هداوي محمد، دراسة مقدمة إلى المؤتمر السنوي لهيئة رعاية الطفولة في العراق، ٢٠٠٧ .
٦. معجم اللغة العربية المعاصرة، د أحمد مختار عبد الحميد عمر، (ت١٤٢٤هـ)، عالم الكتب، بيروت، ط١، ١٤٢٩هـ. ٢٠٠٨م .
٧. المنهجية العلمية في التثقيف الذاتي، للدكتور عبد القادر الشيخلي، دار الحرية للطباعة، بغداد، ١٩٨٥ .